MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 25-8-94
Photo No. : 56

السلام معركة وليس حرباً اهلية

يطيب للصحافة الغربية، عندما تتكلم عن عملية التسوية في الشرق الاوسط، ان تستخدم عبارة "معركة السلام" للايحاء بأن الوصول الى حل سلمي يتطلب خوض صراعات سياسية مضنية لا تقل حدة ولا خطورة، عن النزاع الحربي، وتستلزم تاليا بطولات جمة. وتستند هذه المقولة، التي راجت خصوصا بعد مبادرة الرئيس المصري الراحل انور السادات، وبتشجيع عنتري منه، الى اعتبار ان العرب كارهون للسلام حكما (في حين ان الاسرائيليين سلميّون بالفطرة). غير انه لم يعد من الضروري اليوم، بعدما خفّت حدة "العصيان" العربي للنظام العالمي، الاقرار بهذه الحيثيات للاعتراف بأن ثمة "معركة سلام". او ربما وجب القول، لمزيد من الدقة، ان السلام معركة مستمرة. الا ان المعركة ليست، كما كانت المقولة القديمة تفترض، بين العرب انفسهم، وانما مع العدو عينه، وان يكن اسمه صار مجرد خصم.

ولعل خير دليل على ذلك هو الكمّ الهائل من الجهود المبذولة من الطرف الفلسطيني في المفاوضات التفصيلية الآيلة الى تحديد انتقال السلطات، بعدما كان الانتقال من "اتفاق اوسلو" الى "اتفاق القاهرة" في ٤ ايار الماضي، مرورا بتوقيع واشنطن والكثير من المحطات الاخرى، يتطلب اشهرا واشهرا. والارجح ان سلسلة الاتفاقات لن تنتهي قريباً. فبعد التوقيع بالاحرف الاولى على انتقال السلطات، هناك التوقيع الرسمي، وبين الحدثين، يمكن توقع تعقيدات اضافية، ثم هناك المفاوضات على الانتخابات وحول اعادة انتشار جيش الاحتلال، ومباحثات لا تحصى حول جوانب العلاقات الفلسطينية – الاسرائيلية المختلفة.

في طبيعة الحال، يمكن قراءة هذا المسلسل، الذي قد يبدو رتيبا لو انه لم يكن محفوفا بالمخاطر، بطريقتين. تشير الاولى الى منزلق التنازلات التي دفعت منظمة التحرير الفلسطينية نفسها اليه بعد "الخطأ الاصلي". اما الثانية، فتقوم على اعتبار الصراع العربي – الاسرائيلي مستمرا باشكال جديدة وانه يتوجب تاليا خوض المعارك يوميا في التفاصيل الصغيرة قبل القضايا الكبيرة، ولو انتهى الامر الى تنازل جديد.

ليست نتيجة هذا النهج مضمونة، لكنه الوسيلة الوحيدة المتوافرة، فالنهج الآخر لا يعدو ان يكون لفظيا. ثم انه يسمح احيانا بإرباك الخصم، كما كان يمكن ان يحصل من خلال طرح قضية اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني لو عرف الفلسطينيون ادارة هذا الملف، والمقصود هنا كل الفاعليات السياسية وليس فقط القيادة.

وربما كان الدرس المؤسف في السجال الاخير، وهو درس للجميع، ان "معركة السلام" ستكون حكما خاسرة اذا انحرفت الى حرب اهلية.

سمير قصير